

إحياء علوم الدين

دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران .

فإن قلت فقد قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون فالسؤال مأمور به فاعلم أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم في السؤال عنه فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال أي دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف .

وما لم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه . وقد قال علي بن أبي طالب إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلج عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وإن زل قبلت معذرتة وعليك أن توقره وتعظمه الله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى ولا تجلس أمامه وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته .

الوظيفة الرابعة أن يحتزر الخائص في العلم في مبدأ الأمر عن الإضغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاص فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع بل ينبغي أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغي إلى المذاهب والشبه .

وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأي واحد وإنما عاداته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فإن إضلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ومن هذا حاله يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدء عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار وندب القوى إلى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوى على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له .

ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر أن وطائف الأقوياء تخالف وطائف الضعفاء .

وفي ذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض فيتراعى للناظرين أنها بطالة وكسل وإهمال وهيئات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقي في البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز .

ولا يدري المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته ولمثل هذا جوز للنبي A ما لم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة // حديث أبيح له A تسعة نسوة وهو معروف وفي الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبي A تسع الحديث // إذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينهم من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن .
فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين .

الوظيفة الخامسة أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحموده ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب